مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (2) العدد(8)– ديسمبر 2023م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812–145 x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 2812– 5428
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eng

# البنية السردية للقصيدة الفلسطينية

# ( مأساة فلسطين للشيخ أبي اليقظان أنموذجا )

**د/أسماء عبد الرحمن عبد الرحيم أحمد**

أستاذ الأدب الشعبي المساعد، كلية الآداب ، جامعة أسيوط

asmaaabdelrahman812@gmail.com

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (2) Iss (8)- Des2023
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

# البنية السردية للقصيدة الفلسطينية
# (مأساة فلسطين للشيخ أبي اليقظان أنموذجا)

**د/أسماء عبد الرحمن عبد الرحيم أحمد**

**أستاذ الأدب الشعبي المساعد، كلية الآداب ، جامعة أسيوط**

asmaaabdelrahman812@gmail.com

*ملخص الدراسة باللغة العربية:

تقوم الدراسة على توضيح أهمية استخدام البنى السردية في الإبداعات الشعرية، ذلك أن الإبداع حالة إنسانية متداخلة ومتشابكة تعج بالمتداخلات الفنية، فكانت تلك الدراسة التي تقوم على رصد تأثير الفنون السردية في ديوان (مأساة فلسطين) للشيخ إبراهيم أبي اليقظان، وما لها من دور إنساني فني يحلق بنا من فضاء القصيدة الساكن إلى أمواج البحور المتلاطم.

لذا فرضت الدراسة على الباحث تقسيمها إلى ثلاثة فصول، يضم كل فصل عدة مباحث ويحوي كل مبحث موضوعات مختلفة. ثم أردفناها بخاتمة ومصادر مرجعية تم الاستعانة بها لبناء هذا العمل الأدبي، اعتمدت فيه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلى وكذا التاريخي لاسترجاع ذكريات النصر والعزة والكرامة.

***ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية:**

The study is based on clarifying the importance of using narrative structures in poetic creations, This is because creativity is an intertwined and intertwined human condition full of artistic overlaps, This study was based on monitoring the influence of narrative arts in Diwan(masaat filastin) for the sheikh'"iibrahim 'abi alyaqzan" And what a humanitarian and artistic role it has that takes us from the static space of the poem to the waves of the crashing seas, Therefore, the study required the researcher to divide it into three chapters, Each chapter includes several topics, and each topic contains different topics, Then we added it with a conclusion and reference sources that were used to build this

literary work, The study relied on the analytical and historical descriptive method to retrieve memories of victory, pride and dignity.

مفاتيح البحث: (أبو اليقظان– السردية– الشعرية– فلسطين– الصراع – الشخصيات – الالتفات– الدرامية).

***أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على آليات البناء الشعرى السردية والدرامية التي اعتمد عليها الشاعر في ديوانه (مأساة فلسطين) التي أسهمت فى خدمة التجربة الشعرية التي نقلت تلك المأساة التي يعيشها العالم العربي بشكل مميز عن باقي شعراء التجربة الفلسطينية، كما تهدف هذه الدراسة إلى توضيح صورة الشاعر في النص الشعري متلبساً المكان والزمان والشخصيات، ومتخذاً من الصراع والمونولوج الدرامي للنص قناعاً تُظهر جلياً تمثلات تلك النكسة، وتلك المأساة التى تعيشها فلسطين الأبية، بل والوطن العربي كافة، لذا فقسمت الباحثة الدراسة إلى ثلاثة فصول ،يضم كل فصل عدة مباحث؛ فأما الفصل الأول جاء بعنوان:

الفصل الأول (التنظيري): "الشيخ أبو اليقظان(نشأته وروافده)"، ويضم مبحثين، الأول بعنوان: نشأة الشيخ أبو البقظان.والثاني بعنوان: جهاد الشيخ أبواليقظان.

الفصل الثاني( التطبيقي): "النزعة السردية ودورها في تشكيل البنية الدرامية"، ويضم مبحثين أيضا؛ فأما الأول بعنوان: الصراع ودوره الدرامي في مأساة فلسطين، ويحوي جزأين: أولا– الصراع الداخلي في مأساة فلسطين، ثانيا– الصراع الخارجي في مأساة فلسطين، والمبحث الثاني بعنوان: الشخصيات ودورها في تجسيد مأساة فلسطين، ويضم الشخصيات الدينية والشخصيات التاريخية.

أما الفصل الثالث فتم عنونته بـــ: "المونولوج الدرامي وأثره السردي في البناء الشعري لمأساة فلسطين".وقُسم إلى مبحثين كذلك، الأول بعنوان: الأسلوب

الإنشائي السردي وأثره في البناء الشعري، والثاني بعنوان: الالتفات وبيانه السردي في القصيدة الفلسطينية، ويتعدد إلى التفات زمني وعددي ونوعي ( ضمائري).
وزيلت الدراسة بخاتمة، وذكر للمصادر والمراجع التي تم الاستعانة بها.
لذا فرضت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وكذا التاريخي لاسترجاع ذكريات النصر والعزة والكرامة.

***فرضيات الدراسة:**

- كيف استثمرت الدراسة التقنيات السردية لبناء القصيدة الشعرية الفلسطينية ؟
- كيف تناغمت الأجناس الأدبية في ديوان (مأساة فلسطين) ليولد نص متميز ببنائه الفني؟ .
- ما أهم تجليات الشعرية السردية في القصيدة الفلسطينية ؟ .

## الفصل الأول (التنظيري)

## الشيخ أبو اليقظان(نشأته وروافده)

### المبحث الأول

### نشأة الشيخ أبو اليقظان

**أولًا– نشأة الشيخ أبواليقظان:**

ولد الشيخ إبراهيم ابن الحاج عيسى في القرارة، إحدى بلدان ميزاب في الجنوب الجزائري [1] وقد ولد يوم الإثنين 29 صفر 1306هـ الموافق شهر نوفمبر من عام 1888م [2] .

كان لوالده الشيخ الحاج عيسى بن يحيى تأثير قوي على تكوينه الوجداني والعقلي، فقد كان إماماً واعظاً في مسجد قريته (القرارة) لمدة أربع عشرة سنة،

(1) أنور الجندي – الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة 1965م – صـ212 .

(2)محمد ناصر - المصلح الراحل الشيخ أبواليقظان- جريدة الشعب – العدد 2212 – 6 ربيع الأول 1393هـ - 1973م – صـ10.

واشتهر بين أهالي قريته بحسن الخلق والسلوك القويم والغيرة على الدين ومقدساته [3].

وعلَّم الناس حب الخير والعمل عليه، فأحبه الجميع لعطفه ورأفته بكافة الطبقات وأطيافها، وتقلد أكثر من منصب، فقد كان محل ثقة قومه، وكان عضواً عاملاً في المجلس الديني المعروف باسم (الغرابة) [4]، وحين وفاته المنية، كان عمر أبو اليقظان عاماً وثلاثة أشهر[5].

حُرم أبو اليقظان من طفولته الهانئة بعد وفاة والده، وتعثرت الظروف المادية للوالدة التي قامت برعايتهم والاهتمام بهم –قدر المستطاع– مع إخوته الصغار، فكان رجلاً منذ صغره، لديه تحمل للمسئولية، بل جعل من تلك المحن التي صادفته منذ طفولته منحاً ربانية، فقرر بكل تواضع وهمة خدمة وطنه وشعبه لا أهله فقط .

درس أبو اليقظان في القرارة حتى المرحلة الابتدائية، والتحق بكتاب القرية وأخذ يتعلم المبادئ الأولى كالقراءة والكتابة، وحفظ سوراً من القرآن الكريم في بعض كتاتيب البلد المسماة (بالمحاضر) [6] .

وما لبث أن حفظه كله عن ظهر قلب، لدرجة أنه امتحن في حفظه، فجأة، وكان عمره آنذاك ثمان سنوات، ليكون بذلك كتّاب القبلي، أول الكتاتيب التي فتحت منها شخصيته الدينية[7].

درس الشيخ إبراهيم بن عيسى أبواليقظان في معهد الشيخ الحاج إبراهيم بن عيسى الإبركي، ثم تتلمذ على يد قطب الأئمة الشيخ "محمد بن يوسف أطفيش"، ليسافر بعدها إلى تونس، و التحق بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية، ليدرس على

---

(3)محمد الصالح الصديق -أعلام من المغرب العربي – ج3 الجزائر – 2000م – صـ739 .
(4) إبراهيم طلاي – ميزاب مسيرة كفاح – مطبعة البعث قسطنية – 1970م – صـ38 .
(5) د/ بوز محمد علي – أعلام الإصلاح في الجزائر – ج1 – 3 – 2 ط1- عالم المعرفة – الجزائر – 2013م.
(6) عبدالرازق قوم – أبواليقظان أحد رواد الإصلاح في الجزائر ، مجلة الأصالة ، ع5 ، مطبعة البحث قسطنطينة – 1971م – صـ102 .
(7) محمد علي دبوز – أعلام الإصلاح – مصدر سابق صـ258 .

يد أعلامها الكبار من طينة الشيخ "الطاهر بن عاشور"، والأستاذ "عبدالعزيز الثعالبي"، لينضم فيما بعد إلى الحزب الدستوري التونسي برفقه "أحمد توفيق المدني"، ليعود إلى وطنه الجزائر، ويسهم في الحركة الوطنية والاصطلاحية، سواء في طريق الدرس والتعليم والتأليف أو من بوابة الصحافة والمطبعة العربية [8] .

وقد كان لحبه العلم، أثر في إصراره على التضحية بنفسه أمام أية مخاطر، فقد رحل أبو اليقظان سنة 1931م إلى رحلة محفوفة بالمخاطر ــ متحدياً الاستعمار الفرنسى الذي كان يمنع السفر دون رخصة .... ثم عاد مرة أخرى إلى مسقط رأسه حزيناً لعدم بلوغ مراده المقصود.

كما قادته تلك الرحلة التي دامت عشرة أشهر إلى تونس وطرابلس ودمشق والقاهرة وبيروط وإزمير [9] .

وقد ترأس أول بعثة علمية جزائرية سنة 1914م، مكونة من تلاميذ المدرسة الصديقيَّة التي أسسها الشيخ عباس بن حمَّانة، والشيخ الحاج عمر العنق، التي تعرضت للغلق من طرف الاستعمار، وهو تقليد سار عليه المزابيون عدة عقود، وبعدها تتوجه مجموعة من الطلبة إلى تونس للعلم، وتكون البعثة عادة بإشراف أقدم الطلبة وأكثرهم تجربة ونزاهة وشعور بالمسئولية، وحرصاً على مصلحة الطلبة والبلاد [10] .

وقد مر الشيخ أبواليقظان بنكبات كثيرة منذ طفولته، على رأسها اليتم وفقدان الأب وتحمل مسئولية الأسرة كلها بعد وفاة الأخ الأكبر عن عمر عشرين عاما، حتى اضطر في كثير من الأحايين ترك دراسته للعمل في الفلاحة، لزيادة الدخل، حيث عانت الأسرة معاناة كبيرة من الظروف الاقتصادية، وكذلك أصيب بمرض في عينه

---

(8) أبواليقظان – شعور الأمة نائم فماذا ينبهه – جريدة واد ميزاب – عدد 42 – 29 محرم – 1346هـ - 1927م .

(9) أحمد أحمد محمد فرصوص - أبواليقظان كما عرفته – دار البحث – قسطنطينية 1991م – صفحة 21 .

(10) أبوالقاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – دار البصائر للنشر والتوزيع بالجزائر – 2007م .

جعله يسافر تونس للعلاج بجانب الدراسة في معهد الخلدونية، وقد أصيب فجأة في صبيحة يوم 7 رمضان 1376هـ - 3 إبريل 1957م [11] .

ورغم إصابته بالشلل الذي أسكن جوارحه، لكن عقله وفكره ولسانه كانوا في منتهى الوعى ، ولم يسكنوا لحظة، حتى وافته المنية يوم السبت 31 مارس 1973م بمسقط رأسه [12] .

وترك العديد والعديد من المؤلفات بين مقالات، وكتب وقصائد شعرية، تجاوزت الستين مؤلفاً

## المبحث الثاني

## جهاد الشيخ أبواليقظان

إن الجهاد في سبيل الله من أعظم الأعمال أجراً، ولاسيما ذلك الجهاد الذي يتخذ من الكلمة سلاحاً له، فقد جاهد الكثير من الأنبياء والمرسلين والصحابة الكرام، كنبي الله عيسى ويحيى ونوح ولوط وشعيب -عليهم السلام-، جاهدوا جميعهم بالكلمة، فبشرهم الله بجنات تجري من تحتها الأنهار، فقد ورد عن طارق بن شهاب أن رجلاً سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – أى الجهاد أفضل ؟ قال : كلمة حق عن سلطان جائر – أخرجه أحمد بإسناد صحيح.

وقد قال الله عز وجل: " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين "، [13] والمقصود بالجهاد في تلك الآية الكريمة هو جهاد الكلمة، بالحجة والقرآن، وذلك موجه للمنافقين الذين يُظهرون عكس ما ينطقون.

وقد سخر الشيخ أبو اليقظان حياته للجهاد في سبيل الله وحث الآخرين على مناصرة الحق بما تمليه تعاليم الدين الإسلامي بل الإنسانية جمعاء، فنادى في كل

---

(11)محمد بن موسى وآخرون -معجم أعلام الجزائر – ج2 – دار الغرب الإسلامي – بيروت – 2000م – صـ29 – ط1 .

(12)أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي- شرح صحيح مسلم – دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الاولى 1407- 1987م .

(13) سورة التوبة – آية (7) .

مؤلفاته بالوحدة الوطنية، وتكاتف الأمم العربية لنصرة إخوانهم، المقهورين والمكبلين في كل بقعة على وجه الأرض .

فنادى بالحرية، تحرر الذات من جميع أشكال العبودية والاستعمار، ورغم دفاعه المستميت عن القضية الجزائرية، إلا أن ذلك لم يجعله يغفل أو يتغاض عن القضية العربية الأم، وهى القضية الفلسطينية، فكتب العديد من المؤلفات التي نادت بالاستقلال ونبذت الخنوع والخضوع للمستعمر فيها .

واتخذ من الصحافة وسيلة أولى لنشر كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية العربية ، بل وكل القضايا القومية.

*ومن تلك المؤلفات:

- عدد من الدواوين والمؤلفات الدينية ، منها : [14]

1- ديوان أبو اليقظان 1931م .
2- ديوان مأساة فلسطين .
3- سلم الاستقامة (سلسلة فقهية فى فقه المعاملات والعبادات) .
4- فتح نوافذ القرآن : بها أربع وعشرون نافذة – بيروت 1973م .
5- سبيل المؤمن البصير إلى الله – دار لبنان للطباعة والنشر 1969م .

- وله عدد من المؤلفات التاريخية:

1- سليمان باشا الباروني في شمال إفريقيا .
2- خلاصة التاريخ الإسلامي للجزائر .
3- ملحق السير .
4- الإمام عبد الله بن إباض المري التميمي .

وكتب الشيخ أبو اليقظان العديد من السير والتراجم لكثير من أئمة الإسلام في الجزائر والوطن العربي منها :

- ملحق سير الشماخي، سير وتراجم أعلام الإباضية .
- أفذاذ علماء الإباضية في وادي ميزاب في العهد الأخير .

(14) إبراهيم بن الناصر – صحف أبي اليقظان – القرارة - 2021م .

- فذات النساء الإباضيات عبر العصور.
- أفذاذ علماء الإباضية في شمال إفريقيا عبر العصور .
- سليمان باشا الباروني في أطوار حياته .
- الإمام أبوعبد الله محمد بن بكر القرسطائي النفوسي .
- الإمام أبو عمار عبد الكافي.
- بابا عم الحاج أحمد كما أعرفه الشيخ أبو زكريا يحيى بن صالح – الإمام أبي إسحاق إبراهيم أطفيش كما أعرفه – ترجمة الإمام أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم.

وله الكثير من المؤلفات التاريخية التي تعد وثائق عينية لأحداث سياسية واجتماعية مر بها الوطن العربي – مشاهد الزيارة في القرارة – الإسلام ونظام المساجد في وادي ميزاب – الإسلام ونظام العشيرة في وادي ميزاب – الجزائر بين عهدين (عهد الاستغلال وعهد الاستقلال) كيف كان النظام الديني والاجتماعي بالقرارة – أفذاذ علماء الإباضية في وادي ميزاب في العهد الأخير.

تاريخ الصحافة العربية في الجزائر – من هو الشيخ إبراهيم بكر موجز حياة أبي اليقظان – نشأتي.

وله العديد من الميادين الصحفية الورقية المتمثلة في الجرائد والمجلات، التي جعلها ميدان حرب وقتال، دافع فيها بسلاح الكلمة عن الإسلام والأوطان، ومنها :

وادي ميزاب – تاريخ صدورها أكتوبر 1926م .

ميزاب – تاريخ صدورها 1930م .

المغرب – تاريخ صدورها 1930م .

النور – تاريخ صدورها سبتمبر 1931م .

البستان – تاريخ صدورها 27 أبريل 1933م .

النبراس – تاريخ صدورها 21 يوليه 1933م .

الأمة – تاريخ صدورها 8 سبتمبر 1933م .

الفرقان – تاريخ صدورها 8 يوليه 1938م .

وكان له عدد من المخطوطات :

كلمتي في اللحية – الكتاب المجيد (بشائره للمؤمنين ونذره للكافرين) – محاورات – سبيل المؤمن البصير إلى الله.

وهناك عدد من الكتيبات هي في الأصل مقالات للشيخ :

حكمة التشريع الإسلامي – وباء العجوز – اللغة العربية عربية في دارها الثقة بالنفس – من دسائس المبشرين / الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون – العدالة تحتضر شعور الأمة نائم فماذا ينبهه – الإصلاح .

## الفصل الثاني:

## النزعة السردية ودورها في تشكيل البنية الدرامية.

## ( مأساة فلسطين للشيخ أبي اليقظان أنموذجا )

### المبحث الأول:

### النزعة السردية ودورها في تشكيل البنية الدرامية .

تكمن أهمية تجلي النزعة السردية في القصيدة العربية المعاصرة من خلال تلك الصبغة العقلانية والموضوعية التي تضفيها التقنيات السردية الدرامية على القصيدة العربية، ولا سيما تلك القصيدة العربية الفلسطينية التي تعبر عن مأساة واقعية معيشة بشكل مسمتمر ومتفاقم، فهو مزج بين الوعي واللاوعي الفكر والشعور ، الملموس واللاملموس ذلك أنه " صار التلاحم بين الشعور والتفكير هو المسلمة الأولى لكل عمل فني، سواء أكان شعرا أم سواه " [15]

وفي الآونة الأخيرة اتجه الشعر العربي المعاصر نحو الاتجاه الدرامي ليعكس من خلال المحسوس ذلك الشيء الباطن غير المحسوس، وإنها أداة ربط بين القصصي، وذلك أن تداخل الأجناس الأدبية التي تستخدم في السرد الروائي والقصصي من الأمور الطبيعة، ويستدعي ذلك التطور الذي يعرفه الإنتاج الكلامي،

[15] ) عز الدين إسماعيل –الشعر العربي المعاصر –قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية-دار الفكر العربي – 1966 م – ص 281.

والتعقيد الذي يعرفه الإنتاج الكلامي والتعقيد الذي يعرفه بتطور وتعقد أنماط الحياة وأشكالها"[16] .

وليست العبرة بتمثيل تلك الأجناس الأدبية السردية في القصيدة العربية، بل بآلية توظيفها داخل القصيدة العربية ولاسيما الفلسطينية فقد " أصبحت القصيدة نسيجا متشابك الخيوط والرؤى ، تحتاج إلى بناء فني يستوعب هذا التشابك ويجسد أبعادها المختلفة، ويمكنها من التحرر من هيئة الرؤية الأحادية، وتجاوز الشاعر لا يقاس بخروجه على الشكل المألوف واستعانته بفنون أخرى، ما لم يحمل شكله الجديد رسالة فنية جديدة، ومالم يوظف تلك التقنيات، وتستثمر طاقاتها الإيحائية لتجسيد رؤاه الخاصة "[17]

ولقد أصبح الاتجاه نحو الدرامية منهجا فنيا متعمدا يضفي على القصيدة ديناميكية متميزة، ولا سيما تلك القصيدة الفلسطينية التي ما خلال ديوان شعري من نبض جريح يأن باسمها، ولا قافية إلا وراحت تردد أناشيد النصر والكسر، وراحت الحناجر تدوي تارة بنحيب البكاء وتارة بزغاريد النصر والفرح.

ولقد كان للشعب الجزائري دور بارز في إظهار مدى الظلم الواقع على الفلسطينين والمعانة المعيشة لنسائها وأطفالها وذلك لأن فلسطين كانت صورة أصيلة لمأساة الجزائر والاستعمار الفرنسي الذي طاح بمقدرات البلدان وحاول القضاء على هويتها.

وقد كان لتمسكهم بدينهم وحفاظهم على شريعتهم الأثر الأكبر في الدفاع عن الأوطان العربية ضد الاستعمار الغاشم، وساعدهم في ذلك أنهم الأكثرية في تلك البلدان.

لذا سخر الشيخ أبو اليقظان أدبه سلاحا بتارا في وجه العدو المستعمر ، وارتفع صوت الرفض يجلجل في مقالات وقصائد الشيخ، فراح يعبر عن مكائد

---

[16] ) السعيد يقطين – الكلام والخبر – مقدمة للسرد العربي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء 1997 م – ص 197 .

[17] ) سعاد إبراهيم – المشهدية في الشعر العربي المعاصر – ديوان " شجر الحزن " لصديق عطية أنموذجا – مجلو حوليات آداب عين شمس -2020 م– عدد 48 .

المستعمرين، وأساليبهم الوحشية، واتخذوا من الجهاد والاحتجاج وتأكيد الهوية والذات تيمات فنية تصدح بها ( مأساة فلسطين).

## المبحث الأول

## الصراع ودوره الدرامي في (مأساة فلسطين):

يعد الصراع أداة التوتر في أى عمل أدبي، سواء كان شعرا أم نثرا، وأيا كان نوع الغرض الذي يرنو إليه العمل.

ويتولد الصراع من مفارقة، أو من " تعارض بين إرادتين مما يشكل ذرة تحدٍ أمام المتلقي ، ومن هنا تنمو الأحداث وتتطور المواقف، وينضج المشهد الدولي بكل ما عوالمه الخارجية والداخلية، فالصراع هو محرك الحبكة وشرط تطور الأحداث "[18] لذا عرَّفه البعض بأنه: " كلام يسمع ولا يقال، وبه تعبر الشخصية عن أفكارها المكبوتة"[19].

ومن المعروف أن هذا الصراع يتولد في العمل الأدبي عن " بروز الاختلاف وعدم التوافق في الرؤى والمصالح والأهداف والتوجيهات"[20].

لذا يمكننا تقسيم الصراع إلى؛ صراع داخلي وصراع خارجي؛ فأما الصراع الداخلي، فذلك الذي ينشأ بين المرء ونفسه، أما الصراع الداخلي فذلك الذي يتناوب فيه الجدال مع الآخر، سواء أكان الآخر من الأحياء أو غيرهم.

أ- الصراع الداخلي في مأساة فلسطين:

هو صراع نفسي بين الشاعر وذاته، قد يلوم فيها ذاته، وقد يشحذ نفسه للجهاد والكفاح، كما تكرر في شعر أبي اليقظان .

وقد يكون صراعه الداخلي مع الرؤية الزمنية الآنية، وتقلبات الدهر والسنون، فمن كان عزيز بين الأمم أصبح ذليلا مهانا الآن تدنيه الأيام والمحن:

---

[18] )علي نجيب إبراهيم – جماليات الرواية ( دراسة في الرواية الواقعية السورية المعاصرة ) – 1994 0 دار الينابيع للطباعة والنشر – دمشق –ص 322 .

[19] )عبد الله إبراهيم- البناء الفني لرواية الحرب في العراق – دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة – دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق 1988م 0ص 210 .

[20] )دلالة المدنية في الخطاب الشعري المعاصر ، دراسة في إشكالية التلقي الجماعي للمكان – قادة عفاف – منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001م. ص19

*ولكن شعب إسرائيل شعب بليد ليس يأبه بالسنينا*

*أمن يبغي مكان المن ثوما يذوق المجد والعز المصونا*

*أيعبد من يروم العز عجلا وينسى الخسف والخزى المهينا*

*وكيف ينال في وطن منالا وينسى فيه عرش المالكينا*

في هذه الأبيات يتناول الشيخ الشاعر أبو اليقظان الزمن تناولا مختلف عن دلالته الفيزيائية الأفقية، إلى دلالة ذاتية متشابكة، ليعبر به عن إحداث الزمن في فعل القصيدة، فقد جعل القصيدة تستحضر الماضي مستفهما عن الوضع الراهن الذي آلت إليه البلاد، ويستشهد بالقرآن على مصيرهم المحتوم من خزى وخسف مهين. حيث يقول الله عز وجل: (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ). "(21)

وفي موضع آخر يفصل الشيخ أبو الفضل أفعال المجرمين المستعمرين ويفضح وسائلهم الخداعة وبريقهم الذائف الذي يبهر النفوس الضعيفة :

*ألم تر أنهم في نحو شهر غشوا بالسيف عش المجرمين*

*ونالوا عنوة مالم ينالوا بسحر بيانهم طول السنينا*

*بها خرقوا مسامع وهي مما فكان لهم دوي الغالبينا*

وإذا كانت تلك الأبيات قد ذكرت فيها ألفاظ زمنية واضحة وصريحة بدلالات خرجت عن سياقها المعروف، فقد دلت " السنينا " على حقبة زمنية كبيرة منذ أيام سيدنا " موسى" واتخاذ اليهود للعجل إلها لهم ورفض معية سيدنا موسى –عليه السلام– وقعودهم بمفردهم وهو مصداق لقول الله عز وجل: "قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون" [22] .

---

[21] ) سورة البقرة- آية (51).

6) سورة المائدة –آية 24 .

وكذلك لفظ الشهر لم يكن ذلك المتعارف عليه فيزيقيا ( ثلاثين يوما )، بل هو رمز لفترة زمنية قصيرة أراد الإشارة إليها، وكأنه يقول أنه ، بين عشية وضحاها تبدل الحال وانقلبت الأمور.

وقد جعل الشيخ أبو اليقظان من المفارقة الزمنية أداة قوية للصراع الداخلي، فهو دائما أداة للصراع الداخلي ، فهو دائما يذكر نفسه والآخرين بما كانت عليه فلسطين، بل والعرب جميعا منذ القدم وما آلت إليه الآن :

*على أن البغاة وهم بغاث  إزاء نسورنا جهلوا الكمينا*
*نسوا أن البقايا من الزوايا  فلم يضعوا الحساب لهم وصينا*
*وظنوهم رعاة الشاة ضلوا  ضلالا من غرورهم مبينا*
*وما علموا بأنهم رعاة  للشعوب حماة مجد الفاتحينا*

وهنا يذكرهم بأصولهم، بأنهم جماعة من الرعاة الذين كتب عليهم الله –عز وجل– التيه في الدنيا ولكن غرهم نصرهم الزائف وعتادهم الكثيرة، حيث قال عز وجل:" قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" [23] .

وقد اعتمد الشيخ إبراهيم في تلك الابيات على المفارقة الدرامية بين المتناقضات، وهي تيمة تكررت كثيرا في قصائد شيخنا الجليل –رحمه الله– فهو يصف العدو بأنهم رعاة الشاة والفلسطينين رعاة الشعوب، وأن العدو بغاث[24] والفلسطينين نسور، وكذا في قصيدة أخرى:

*ألا ليت شعري كيف تغدو  ربوع القدس بين العابثينا*
*أيرهقنا هزال الضعيف حتى  تساومها حفاة مفلسونا*
*وأشبال العروبة في عرين  وهم نسل العظام الفاتحينا*

فترى المفارقة بين المعاني المتضادة مستخدما المقابلة اللفظية والمعنوية :

هزال الضعف ← أشبال العروبة

---

[23] )سورة المائدة –آية 26.

[24] ) البغاث ، كل طائر ليس من جوارح الطير ، يقال : هو اسم للجنس من الطير الذي يصاد ، والأنثى بغثاء .انظر : لسان العرب لابن منظور – مادة ( بغث) – دار صادر –بيروت.

تساومها حفاة مفلسونا ← نسل العظام الفاتحينا

هو صراع النفس الذي يحادث فيه نفسه بحديث شجي، ينازع فيه ذكرياته وحنينه إلى الماضي حيث الكرامة والعزة والنصر، وما يحشرج حلقه من واقع مرير ومؤلم.

وهناك صراع داخلي تجلى بوضوح في ( مأساة فلسطين) ذلك الذي اندفع من منطلق ديني وعقيدة إسلامية، تفرضه المقدسات الدينية الفلسطينية التي تنتمي إلى المسلمين في جميع أنحاء العالم، تلك التي ذكرت في القرآن:

"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"(25).

فيدعو كافة المسلمين في كل الأنحاء إلى نصرة الدين، في مقاربة نفسية وعقيدية بينه وبين نصرة فلسطين.

**نصرة الدين = نصرة فلسطين**

*بقنبلة من الإيمان هدوا صروح البغي منهم والحصونا*

*ففر لجحرها الفيران خوفا تنادي أه ( أضوناي) أدركونا*

وفي قصيدته "أقتلة الأنبياء والرسل يعفون برناردت":

*أقام الله حجته كثيرا على الدنيا بشأن الآثمينا*

*فتبين فضله الأسني عليهم قديما عن جميع العالمينا*

*وكيف عتوا عليه وجاهروه بقتل الأنبيا والمرسلينا*

إلى قوله:

*وأين العاجز( أوترومان) طبعا من القهار فوق الغالبينا*

وهو ما يوافق جهاده في الإسلام وزوده عن الأوطان العربية، ولا يجد غير الإيمان والإسلام سلاحا وحيدا يبتر الكفر والاستبداد: " إن الدين الإسلامي العظيم هو

25 ) سورة الإسراء – آية 1.

الذي يزكي النفوس ويطهرها في الدول العربية، فتتحد فتقوى على تحرير فلسطين."[26]

**ب- الصراع الخارجي في مأساة فلسطين:**

يحدث هذا الصراع مع كل مكونات المحيطة بالمبدع، وتؤثر فيه ويتأثر بها ، سواء أكانت مكونات حية أو غير حية .

وقد تكون تلك المكونات عقبة يقف الشاعر أمامها في تحد واضح وصريح، بشكل تعارضي مفارق، فهو حين يقف متصارعا بين موقف مجلس الأمن المتخاذل وطموحهم في نصرة الحق، وترجيح كفة العدالة، فنجده يتعجب من سكونهم وتسترهم بثوب العدالة:

*ألا يا ليت شعري كيف لاقوا صدى الإجرام إذ هم آمنونا*

*وما اتخذوامن الإجراء ضد الـــ جناة المجرمين المفسدينا*

*وكيف نرى حماة الأمن لاذوا هنا بحمى السكوت مداهينينا*

وقد يوجه الدعوة عامة إلى العرب أجمعين، ذلك أن رؤية الشيخ اليقظاني هي رؤية تتسع لتشمل الوحدة الوطنية، الشاملة لنصرة الضعفاء والوقوف لمجابهة المستعمرين. وهو ما أكده في قصيدته(الحكومة العربية الجديدة بغزة):

*وإذا أيست حماة العرب من أن يروا لهم هنالك منصفينا*

*ومجلسهم وإن بالأمن يدعى ولكن كان بالخوف القمينا*

*وجامعة العروبة لاحظوها وراء حدود أرض الآهلينا*

وتسير القصيدة ببناء سردي قصصي عن قرارت مجلس الأمن والحكومة الجديدة التي تولت شئون ( غزة )، وأكد على أهمية التكاتف والوحدة الوطنية لنصرة القضية الفلسطينية، فلن يتحقق إلا بتآزر جميع أطراف الوطن العربي، فقد كرر في مواضع عدة تلك المعاني الجمعية التي تبعد بنظرتها إلى فضاء يتسع ليشمل كل أوجه

[26] ) محمد علي دبور- من مقدمة ديوان" ( مأساة فلسطين) - السبت 21 من محرم 1385ه-22 مايو 1965م .

القضية" إن فلسطين لن يحررها إلا أبناؤها بإعانة الدول العربية المتحدة المتضامنة العاملة لله ، فينصرها الله".[27]

إن الحوار الخارجي يعد ركنا أساسيا في البناء الدرامي، وذلك لاعتماده على تعدد الأصوات، وهو ما يدفع النص إلى التقدم والتصاعد، ويمنحه الحركة والحيوية، وكأن القصيدة كائنا يتلوى ويتحرك ويعلو وينخفض ويروح ويغدو، ففي قصيدة( العرب الأقحاح يجيبون بحد السلاح ) يصف العرب بأنهم:

*هم العرب الأباة إذا أهينوا غلت فيهم دماء الأكرمينا*

*وفارت نخوة المجد المعلي بهم حتى يعيشوا آمنينا*

وفي المقابل يوجه نقده للعرب كافة في قصيدة( في المهادنة الأولى) مستخدما الصوت المدوي الذي يضج به العرب فيرفع صوت القصيدة الساكن:

*أقام العرب مندبة صياحا وراء الغاصبينا المعتدينا*

*وآذوا مسمع الدنيا ضجيجا لكي يجدوا أساة منصفينا*

*وظنوا أن في الدنيا ضميرا يقيم الوزن للمستضعفينا*

وهنا مزج الشيخ إبراهيم اليقظان في قصيدته ( حيا الله العرب)بين الصوت والحركة مستخدما كل الحواس، وتآزرها مع العرب، وذلك في موقف مصر بشأن القضية الفلسطينية وإعلاء للوحدة الوطنية وهو ليس غريبا على العروبة وذلك لأن الله منبع سقياها، لذا فإنه مهما طال الأمد فحتما ستثمر نصرا وعزة:

*سقى الله العروبة حيث كانت وكلل سعيها نصرا مبينا*

*وأعلى راية الجند المفدي وأبطال الجهاد العامليناً*

هو فضاء نصي متحرك سخّر فيه الشاعر كل مكونات الطبيعة (الصوت واللون والحركة) مؤكدا تآزرها مع الحق وإن طال الأمد.

مفارقات صوتية حرص الشاعر على ارتفاع صوتها ليصل لمسامع العالم أجمع، فالقصائد تضج بصليل السيوف فتهتز لها جنبات القصيدة بألفاظها وصورها:

*وهزوا العالمين بها هلوعا لهزتهم تداعى المصلحونا*

---

[27] ) المصدر نفسه.

*بهذ المنطق الأسمى تصدوا لإفهام القساة الجامدينا*

*فإن السيف أصدق ثم خبرا وأجدى من كلام الصادقينا*

لقد استطاع الشاعر أن يوظف تلك الصور الديناميكية ( البصرية والسمعية والحركية) ليعكس بها ذلك الطابع السردي الذي اعتاد في كتاباته النثرية المتعددة التي تغلب على إبداعاته.

## المبحث الثاني

## الشخصيات ودورها في تجسيد مأساة فلسطين

اعتمد الشاعر على الشخصيات القديمة التراثية، بما تحويه في أذهاننا ووجداننا من مكانة متميزة، فهي مستودع لطاقة حماسية، ننزح منها كلما فترت مشاعرنا، وتبلدت أحاسيسنا ونضب المعين الحالي.

واستدعاء هذه الشخصيات يحييها في نفوسنا ويجعلها حاضرة لا تغيب وأبدا لا تموت، فهي علاقة تبادلية تفاعلية بين الماضي والحاضر، لخلق المستقبل المطلوب:" يتبادل فيها الشاعر والموروث الأخذ والعطاء، والتأثير والتأثر يرتد الشاعر إلى الموروث ليمتاح من ينابيعه الشجية ما يساعده على إيصال تجربته الحديثة إلى المتلقي، وفي الوقت نفسه تكتب هذه المعطيات التي استعارها الشاعر غنى وشبابا، وهكذا يتم الأخذ والعطاء من الجانبين، أو من طرفي العلاقة، وليس من جانب أو طرف واحد" [28]، فالشخصية هي: " المحور الرئيس الذي يتكفل بإبراز الحدث، وعليها يكون العبء الأول في الإقناع بمدى أهمية القضية المثارة في القصة وقيمتها"[29].

وقد تنوعت الشخصيات التي استدعاها الشيخ إبراهيم في ( مأساة فلسطين ) بين دينية وتاريخية.

**أولًا–الشخصيات الدينية:**

[28] )علي زايد عشري – استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر – دار الفكر العربي- القاهرة مصر – 1997م-ص61-62 .

[29] ) نادر أحمد عبد الخالق -الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني – دراسة موضوعية وفنية –دار العلم والإيمان – الطبعة الأولى – 2009م – ص40 .

تنوعت الشخصيات الدينية في ( مأساة فلسطين ) بين أنبياء ومرسلين وصحابة أجلاء، وأئمة عرف عنهم الزهد والورع، ذلك أن الدين والزود عن الوطن وجهان لعملة واحدة، وإن هناك علاقة وطيدة بين الشاعر والنبي، فكلاهما يحمل هم الوطن وهم الآخر، وكلاهما مكلف بالزود عن وطنه وكلاهما يتحمل العنت والمشقة والإيذاء في سبيل تحقيقه غايته ورسالته، مغ اختلاف مصدر الرسالة لكل منها.

فقد ذكر سيدنا موسى الذي هو رمز الطاعة والجهاد، وقومه رمز العناد والمعصية وهم الذين خالفوه وتخاذلوا عن نصرته:

*وهم قالوا لموسى اذهب وقاتل ... وربك نحن ثمة قاعدونا*

*أبا شلومو وخريون وموشى ... على الله المقدس ينصرونا*

*بلى والله خاتمة ستبقى ... ولن تمحى دوام الآبدينا*

*فلا وزمان لا أتروفان كلا ... ولا شومان واقيهم فتونا*

ودائما يرتبط المبدعون بصفة عامة والشعراء خاصة بنبي الله عيسى –عليه السلام– مخلصا لهم، وملجأ للهروب من أولادهم ،فكثير من الشعراء صلبوا أنفسهم فداء الوطن واقتداء سيدنا عيسى –عليه السلام– حاملين على أعناقهم همومهم وهموم أوطانهم سواء كانت مادية محسوسة أو معنوية وغير محسوسة.

فقد تم استدعائه أكثر من مرة في تلك المأساة، في دلالة قوية للصبر والتحمل ورمز للسلام والسلم:

*وروح الله جاء بروح سلم ... فأين السلم يا متهالكينا*

*أفي إضرامها برا وبحرا ... وجوا بالحروب تسالمونا*

وربط الشاعر في موضع آخر بين نبي الله عيسى –عليه السلام– وسيد الخلق محمد –صلى الله عليه وسلم– في مقاربة توجعية، فكلاهما عانى استبداد قومه و طغيانهم وتَحَمّل الآلام من أجل أمته ورفع دعائم التوحيد الإلهي:

*نعم فمحمد ورث البرايا ... هنا وهنالكم ملكا ودينا*

*وإن قالوا تعالوا فاقسموها ... وخلوا قسمة للجائعينا*

*إلى قوله:*

*أرى الإسلام صافى قوم عيسى فكانوا ضده متأمرينا*

*ولكن حالفوا جهرا جناة المسيح فآزروهم مخلصينا*

*فهل هم مسحوا أم قوم عيسى هم مسخوا يهودا خاسئينا.*

هو يؤكد في تلك الأبيات أن سيدنا عيسى –عليه السلام– وسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– جاءا من قبس واحد ومعين رباني واحد، لذا كانت رسالتهما واحدة؛ وهي العودة للم شمل الأمة على عبادة الله الواحد، لكن الأمم اختلفت فيما بينها، فحدث ذلك الشقاق الذي اخترق ضلوع الأمم والأوطان.

وإن الأديب عندما يتعامل مع الماضي بكل أحداثه وشخصياته، إنما ( يضفي عليها من ذاته وواقعه، وطبيعة الحالة النفسية التي دفعته إلى الاستعانة بجز من التاريخ، وهو يتعامل وفق قناعته بما تكتنفه هذه المادة التاريخية من قيمة معنوية، ودلالة إيحائية يريد إيصالها إلى ذهن المتلقي وشعوره".[30]

وقد يكون هذا الإيصال بشكل مباشر أو غير مباشر، فأشار الشيخ أبو اليقظان إلى السلاح الذي يقاتل به عدوه وكأنه عصا موسى –عليه السلام– الذي أيده الله من خلاله بالنصر حين ضرب به الحجر فانفجرت ينابيع تفيض بالماء وضرب بها البحر فانفلق واستطاع أن يعبره هو ومن آزره من المؤمنين وأزاغ الله بها أبصار الكافرين لتكون سببا في نصرته على فرعون وإيمانهم بربهم:

*ورعى الله العروبة في حماها وموقفها إزاء المعتدينا*

*فجامعة العروبة في ذراها عصى موسى لسحر الساحرينا*

*فأنى جاءها الأعداء ردت مكائدهم فكانوا الأخسرينا*

فقد ردت جامعة الدول العربية حق المستضعفين والمضطهدين من الفلسطينين والعرب أجمعين، فقارب بينهم في قصيدته هذه ( العرب الأقحاح يجيبون

---

[30] ) علي الحداد – أثر التراث في الشعر العراقي الحديث – بغداد – دار الشئون الثقافية – آفاق – 1986 م – ص80 .

بحد السلاح) فهم لم يزيفوا الحقائق، لأنهم عرب مخلصين لم تشوبهم شائبة، وهو المقصود بقول الشيخ "الأقحاح"، كما نصر الله بعصا موسى نبيه.

وكذا نبي الله (داود) –عليه السلام– في القصيدة نفسها التي اتخذها اليهود ذريعة لهم لاستيطانهم وتدنيسهم الأراضي المقدسة، وأن نبي الله –عليه السلام– قد أسس لهم ملكا فيها، هي إرث لهم ولأبنائهم:

*وإن قالوا نجدد عرش ملك لدواد وكان هنا دفينا*

وهناك عدد من الصحابة قد استلهم الشعراء حضورهم بما تحمله أسماءهم وحياتهم من قصص كفاحية ( انتصارية أو انكسارية )ـ ذلك أن استدعاء الشاعر للشخصيات الغائبة التي هي رموز دينية، تحمل قيما عقائدية مسلم بها" ليست مجرد عملية يقوم بها الشاعر دون أن يكون لها وظيفة، وإنما عملية تفجير لطاقات كامنة في هذا النص يكتشفها شاعر بعد آخر ، كل حسب موقعه وإحساسه الشعوري الراهن"[31]:

الغاشمة المتجبرة، فكانت رمزا للنصر، واستدعاؤها أملا في النصر ورجاء لتحقيقه.

فقد استدعى السيخ أبو اليقظان أكثر من رمز ديني تصريحا أو تلميحا، اسما أو كُنية في محاولة للبحث عن أمثال تلك الرموز في العصر الراهن، أو من يقتدي بهم وبجهادهم؛ فقد استدعى سيدنا (عمر بن الخطاب) بكنيته (الفاروق) في محاولة للتفرقة بين ذلك الحق الذي تشهد به كتبنا السماوية، والباطل الذي يحيط بنا في كل مفردات الحياة الآنية وأيضا البطل خالد بن الوليد (سيف الله المسلول)، فاستعان الشاعر باسم شهرته دلالة في نوع من الرجاء والتمني بأن يملك ذلك السيف البتار فيبارز به أعداء الله، كما بترهم خالد بن الوليد –رضوان الله عليه– في غزواته مع النبي بسيفه المسلول:

*فلسطين العزيزة ما دهاك ألست لأسد قحطان العرينا*

*ألم تك راية الفاروق تحمي حماك تذود عنك الغاضبينا*

---

[31] ) وائل عبد الله مفلح - توظيف التراث في شعر صفي الدين الحلي – رسالة ماجستير - جامعة اليرموك –كلية الأداب – الأردن -2008م.

*ألم يلمع ( لسيف الله ) سيف بساحك عندما هد الحصونا*

*ألم يك في اليرموك يوم أقام بهوله الدنيا قرونا*

أما سيدنا (موسى) فقد استخدم الحوار أداة له يتعلم بها ويحاور بها عدو الله فرعون وكذا قومه لعلهم يهتدون، فقد بلغه رب العزة أن يذهب إلى فرعون ويستخدم معه الحوار والقول:" وقال يا فرعون إني رسول من رب العالمين"[32] أما في خطابه لأهله، فقد خاطبهم بالحسنى:" وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعل فيكم أنبياءوجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين"[33]

فقد استعان الشاعر باللغة الحوارية في قصيدته(مؤازرة المسيحين لقتلة المسيح)، التي تكررت أكثر من خمس مرات في قصيدة واحدة فيطرح ما يدور بخلدهم ويجيب بحججه القوية الباترة التي لا تحتمل الشك ، بل ويعرفونها في أحبارهم منذ القدم، محاولا إفهام العقول المظلمة والقلوب المتحجرة:

*–وإن قالوا يتخذ عرش ملك .....*

*–نعم، فمحمد ورث البرايا .....*

*–وإن قالوا تعالوا فاقسموها .....*

*–نعم، فهل نقسمهم جميعا .....*

*–وإن قالوا هم أكفاء ملك .....*

*–نعم، في ضبط أمنهم دليل .....*

*–وإن قالوا تسيل لنا قلوب .....*

*–نعم، فبلادكم أغنى فخلوا .....*

*–وإن قالوا هم أصحاب كد .....*

*–نعم، فلكم مواطن شغلوهم .....*

*–وإن قالوا هنا الجبروت تملى .....*

*–نعم، فالعجل لا ينفك حيا .....*

---

[32] ) الأعراف –آية 104.

[33] ) المائدة –آية 20.

إن ذلك الحوار محرك للقصيدة الشعرية الصامتة، فيحيلها إلى فضاء متسع من الفكر والتعجب والاستفهام، جدلية ضدية غير مباشرة، بين الشاعر وذاته، يطرح مثيرا ويتبعه باستجابة كنظرية التعلم والمعرفة الشهيرة لـــ" بافلوف"، تقارب معرفي بشكل غير مباشر يهدف إلى المعرفة والإفهام والتعليم الذي دوما يحاول نشره من خلال تصحيح تلك المفاهيم:

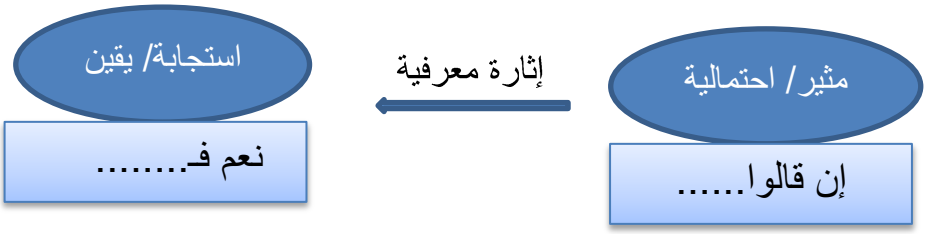


ب – الشخصيات التاريخية:

إن الاتكاء على الشخصيات التاريخية بما تحمله من تاريخ حافل بالأحداث الإيجابية منها والسلبية، فإن ذلك له دلالة واضحة في فهم المضمون والمراد بشكل يثير ذهن المتلقي، ويلفت الانتباه في ذلك الحراك الدرامي إلى تلك التجربة الغنية لهذه الشخصية المستدعاة، التي وصفها أحد الباحثين بأنها دوما ما تكون " غنية أصيلة شاملة "[34] .

كما أن ذلك الاستدعاء التاريخي يخرج الشاعر والمتلقي إلى عالم منفتح، ينفتح فيه على تجارب تلك الشخصيات" الخروج عن نطاق ذاتيته المغلقة إلى تجربة الإنسان في هذا العصر وفي كل العصور"[35].

وقد تنوعت تلك الشخصيات بين شخصيات كافرة ومؤمنة، فلسطينية وإسرائيلية، وقدرت إليها بالتصريح أو التلميح، فمن تلك التي تم الإشارة إليها تصريحا، في قصيدته( مقاضاة اليهود لله تعالى لدى (بلفور) وشيعته:

*رأو بلفور أحسن منه حكما  فقاضوا الله عند الظالمينا*

[34] ) عشري زايد – مرجع سابق –ص17 .
[35] ) خليل حاوي –مجلة المعرفة السورية – العدد الخامس – تموز – 1962م –ص164.

*فأصدر حكمه بغيا وعدوا بنقض قضاء رب العالمينا*
*فقام لأجله (أترومان) يدعو إلى تنفيذ حكم القاسطينا*
*وشايع غيّه (أستالين) يرجو إقامة ملك إسرائيل حينا*

ورغم عداوة تلك الجهات والرموز لبعضها البعض، بيد أنها تتفق على إزاء المسلمين والفلسطينين:

*وإن تعجب فأعجب من عدو يخالف خصمه في المسلمينا*

وإذا كنا قد تحدثنا في المبحث السابق عن سيدنا موسى –عليه السلام– فإن الشاعر قد قارن بين قومه وقوم إسرائيل الذين خالفوه وناصروا الباطل والعدوان ، مؤكدا ان النصر لله ولعباده المخلصين:

*وكيف يرون ضد الله نصرا مظاهرة عليه مناصبينا*
*وهم قالوا لموسى اذهب وقاتل وربك نحن ثمة قاعدون*
*أبا "شلومو وخريون وموشى" على الله المقدس ينصرونا*
*بلى والله خاتمة ستيقى ولن تمحى دوام الآبدينا*
*فلا وزمان ولا "أترومان" كلا ولا "شومان" واقيهم فتونا*

وفي تلك الأبيات إشارة لقصد سيدنا موسى إذ قالوا لنبيهم اذهب وقاتل ونحن سننتظرك هنا، وهي قصة شهيرة ترددت في أكثر من موضع من مواضع القرآن الكريم، منها:

"قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون"[36]

فيها إصرار على الكفر، وتحد صريح لنبيهم الذي أمرهم بعبادة الله وترك عبادة فرعون، كما هو حال قوم إسرائيل الآن متمثلة في بعض الرموز التي أوردها الشاعر التي كانت ذا بصمات واضحة في تمكين الباطل وزعزعة الحق ( شلومو – موشى –خريون – أترومان– شومان ) وكلهم قيادات إسرائيلية لا تسمع إلا صوت نفسها ودوي غرورها.

[36] )سورة المائدة – آية 24.

وكذا في قصيدة" المهادنة الأولى"التي اشارت صراحة لبعض رموز إسرائيل مما كان لهم دور كبير في إرساء قواعد الظلم في فلسطين:

*ففوض جمعهم عنهم وسيطا حصيف الرأي عندهم أمينا*

*ولما جاء "برنادوت" يسعى لإيقاف القتال هناك حينا*

*فتم له المرام غدا سريعا ليعقد هدنة للكاشحينا*

*خطا فيها خطى للسلم لكن على أسس توالي العابثينا*

وقد تكرر ذكره أكثر من خمس مرات في مواضع شعرية متعددة بالديوان نفسه، منها:

*بردوت قام ( برنادوت) يسعى لينزل رحمة للعالمينا*

*ويعلن في فلسطين سلاما يعيش بجنب قسمتها قرينا*

*فنادى صفوة العرب الكرام ورهطا من كبار الفاسقينا*

وهي قصيدة يعلن فيه التي السمات المعروفة عن الكفار من خديعة ومكر وزيف، لكنه سريعا ما يصرخ شيخنا / شاعرنا الحقيقة حين يذكر أنه تخيل صيده لعجل ثمين، باستيلائهم على فلسطين العربية:

*بلى ماهد الرواسي لو أن هناك قوما يعقلونا*

*أليس مكان ( برنادوت) منهم كما علم الدعاة السامعونا*

وكما أشرنا قد يكون الاستدعاء تلميحا بالمكان أو الزمان أو بجزء من ممتلكاتهم كالسيف أو العصا أو غيرها.ومن تلك الأبيات التي عدد فيها ذكر الأمكنة الفلسطينية في موازنة صريحة مع الأمكنة الإسرائيلية.

فتلك الأمكنة التي تعطي دلالة النصر والعز على المشركين، وتعلى راية الحق والمستضعفين، وقد حفرت تلك الغزوات والمواقع بحروف من نور في قلوب المسلمين:

*فسل طبرية والقدس واللد وتل أبيب بل سل جنينا*

*وماذا حول يوشع من عجاب وفي البطرون ما يخزي الخئونا*

*وكم كشفوا لدى (نقب) نقابا لهم فتطايحوا متعثرينا*

*وما في الرملة البيضاء لولا خيانة بعض من يبغي الرنينا*

(طبرية، والقدس، واللد، وتل أبيب، جنينا، يوشع، البطرون، الرملة البيضاء، وغيرها)

أكثر من عشر معارك بطولية تضمنها ديوان (مأساة فلسطين)، وهي نماذج مشرفة لانتصار الفلسطينين على عدوهم، رغم قلة العدد والعتاد، وهي رمز لأشهر المجازر التي حصدت أرواح الأبرياء الطاهرة من أطفال ونساء وشباب الفلسطنيين من جرَّاء البطش الإسرائيلي في تاريخ الثورة الفلسطينية منذ بدءها وحتى الآن.

ودائما يحرص على النهاية المؤكدة التي آلت إليها تلك المعارك والمواقع، التي يعد استحضارها استحضارا للنصر والعزة، ليس فقط رجاء، بل حقيقة واقعة.

وفي مرادفة لتلك الانتصارات فقد أردف الشاعر عددا من الغزوات التي حُسمت بنصر المؤمنين على الكافرين ، وهي مقاربة بين الحق والباطل / الكفر والإيمان، في كل زمان ومكان:

*ألم ير عند خيبر خير هدي وعند قريظة الخبر اليقينا*

*وفي أهل النضير وقينقاع لآيات لدى المستنصرينا*

وقد عمد الشاعر في استدعائه لتلك القبائل لما لهم من مكانة يكنها الضمير العربي والإسلامي لتلك القبيلة من عداء وكراهية، فكانوا رمزا في التاريخ الإسلامي للغطرسة والتعالي والخيانة.إنها مقاربة يعقدها الشيخ الشاعر أحكم بناءها وعقدها بين اليهود في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– والإسرائيلين في فلسطين:

| | |
|---|---|
| اسم القبيلة | يهود الإسلام في عهد النبي = يهود إسرائيل في العصر الحالي. |
| وجه الشبه | |
| النتائج | هزيمة ساحقة |

إن التاريخ باستدعاء الشاعر لتلك الشخصيات يعيد نفسه بكل أحداث وتفاصيله وخصاله، فكان حتما على المبدع أن يستحضره ويعلّقه في أركان القصيدة لتعلق في أركان القلب.

إنه بحث عن مؤازرة وكتف ثان يحمل الشاعر عليه همومه التي ثقلت عليه، سواء كان تلميحا أو تصريحا، ويعينه على الوصول لرسالته وتحقيق حلمه كما أنها تخلق أملا جديدا يبث روح العزيمة والجهاد لكن أبناء الوطن .

إن دوافع الشاعر لاستدعاء شخصيات تراثية، فإنما يعود إلى حاجة تراثية، تعطي للقصيدة ديناميكية أن:" إحساس الشاعر المعاصر بمدى غنى التراث وتراثه بالإمكانات الفنية .....وباستغلاله لهذه الإمكانات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير".[37] و"لينشدوا فيه ذلك العالم الغني البكر الذي يفتقدونه في واقعهم وليصنعوا من معطياته على المستوى الفني عالما شبيها به".[38]

[3737] ) علي عشري زايد – استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر – ط1- منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع –طرابلس 1978م – ص18.

[38] )المرجع نفسه.

وقد يكون ذلك من منطلق سياسي سواء أكانت هذه الظروف إيجابية أو سلبية فهي خبرة تجارب أمم عاشت قهرا أو نصرا، رفاهية وقسوة وأخيرا لا أحد ينكر ذلك الجانب النفسي الذي نشبعه حين نستدعي الماضي ونستحضره ونحقق به ما نصبو إليه، وما نفتقده في ذلك العالم المعيش الواقع.

**الفصل الثالث:**

**المونولوج الدرامي وأثره السردي في البناء الشعري لمأساة فلسطين**

إن أهم ما يميز مأساة فلسطين تلك الدرامية التي تظهر بوضوح في قلب القصيدة ، حيث يخاطب الشاعر نفسه أو غيره ، وكله خطاب خيالي صادق ، يصل إلى حد الحقيقة والواقع، يعتمد فيه الشاعر على التفاعل الحي الفعال مع تلك الحقائق واستعادة ما فقدته من عناصر مادية فاعلة خلال عملية أحالتها إلى حقائق ، وهو في كل ذلك يسعى جاهدا لاستخلاص وكشف المواقف الإنسانية والتاريخية الأصلية.

والمونولوج مصطلح يستعمل بمعان عدة ، بيد أن المعنى الأساسي له هو الحديث المنفرد الذي يقوم به شخص واحد في وجود أو غياب مستمعين، ونجد مثلا لذلك في معظم الابتهالات والقصائد المرثية الغنائية والمرثيات"[39].

إن المونولوج الدرامي هو البوتقة التي يحدث في داخلها ذلك التفاعل بين الحياة والحقائق السائدة، حيث يتم النظر إلى الحياة ، ومحاولة تحديد أبعادها أو حتى تشويهها عن طريق وجهة نظر شخص معين في زمان ومكان معينين، بغرض التأثير في شخص ما أو إعادة بناء فكرة ما أو مرحلة تاريخية . ويكون قلقة التوازن بين العاطفة والحكم القيمي هو الناتج لهذا التفاعل."[40]

وإن الشاعر حين يحاور نفسه أو يحاور غيره، فإنه: " يحدث توجيها خفيا للمادة الشعرية لخلق مواقف درامية معينة، أو أن تتولد عن الإطار المبدئي الذي

[39] )صلاح عبد الصبور – ليلى والمجنون – القاهرة – الأعمال الكاملة – دار الشروف – ص124.
[40] ) المونولوج بين الدراما والشعر أسامة فرحات – الهيئة المصرية العامة للكتاب.2014 م.

اختاره الشاعر – مادة شعرية جديدة لا تنبثق عن الفكرة الأولى، وإنما عن هاتف جانبي للاشعور"[41].

وقد يتنوع المونولوج الدرامي في القصيدة الفلسطينية ( مأساة فلسطين)، ليخلق آفاقا جديدة للنص الشعري، تجذب القارئ وتتملك مشاعره وخوالجه.

فنرى الشاعر ركز على نوعين من المونولوج، أولهما استخدام الشاعر للأسلوب الإنشائي والالتفات السردي.

**المبحث الأول**

**الأسلوب الإنشائي السردي وأثره في البناء الشعري.**

تجاوزت قيمة الاستفهام ذلك المعنى الظاهري السطحي له إلى دلالات بلاغية وبلاغية بالإضافة لعكس الحالة النفسية، تضفي إلى القصيدة معان جديدة وتخرج بها عن إطارها الشعري إلى إطار سردي درامي.

" فقد يخرج الاستفهام عند اللاغيين من معناه الأصلي لمعان أخرى تعرف من السياق منها؛ الأمر، و النهي، و التحقير، و التعجب، والتهكم، والتوعد، والاستبطان، و التنبيه"[42]. والاستفهام دائما مشحون بشحنة انفعالية تتفق مع الحالة النفسية للشاعر، بل وتعضده، هذا بجانب اختزال الكثير من الأحاديث والألفاظ بل والمشاعر، فقد أصبح استخدام الاستفهام في البناء الشعري :" زخرفة كلامية، تجلو الرتابة على النسيج وتنفض غبار السكون الأسلوبي عنه"[43] .

وقد تنوعت أدوات الاستفهام المستخدمة في ديوان ( مأساة الحلاج)، سواء أكانت في صدارة البت أم في عجزه أم في قلبه، فقد تكرر ذكر بعض الأدوات وأعلاها على غيرها في الديوان، لما لها من دور ملموس في تجلي الحالة الدرامية التي تعكسها القصيدة، ولما فيها من شجن وحزن تقرضه الحالة الواقعية للشعب الفلسطيني، ومن أبرز تلك الحروف التي انتشرت في فضاء الديوان:

---

[41] )s0diot,onpoetry andpoets,lond,faber1979,p95(

[42] )أحمد الهاشمي – جواهر البلاغة-البيان والمعاني والبديع – مطبعة السعادة – ط 3- مصر – ص57-66 .

[43] ) عبد الملك مرتاض – السبع المعلقات – مقاربة سيميائية أنثرولوجيا لنصوصها، اتحاد الكتاب العرب دمشق – ص175.

1- الهمزة:

تعد الهمزة أول الحروف العربية الهجائية، وهو من حروف الهمس وأحيانا الانفجار، وقد تبدأ الكلمة به أو تتوسطه أو تزيله.

وقد ذكرت في ديوان (مأساة فلسطين )أكثر من خمس وثلاثين مرة بمواضع مختلفة من الكلمة وأشكال مختلفة تعكس دلالات مختلفة، أضفت معان درامية وسرية للقصيدة الشعرية .

فأسندت الهمزة إلى حرف التنبيه (ألا) ما يقارب الخمس مرات ، متصدرة الأبيات لجذب الانتباه وترقيق القلوب وقد يعاد ذكرها في عجز الأبيات أيضا للتكرار:

ألا يا معشر الإسلام هبوا لنصرة دينكم إذ قد أهينا

فلسطين الجريحة وهي منكم ألا هل من ملب لي رحيم

وفي موضع آخر:

ألا يا أخت مكة خبرينا ألست مقر جل المرسلينا

وقد جمع في هذا البيت السابق موضعين للهمزة ، فجاءت في صدر البيت وعجزه ، وأسندت تارة إلى أداة التنبيه وتارة إلى أداة النفي( ليست).

وكل تلك المواضع تعطي إيحاء بالصوت المرتفع الذي يعلو على فضاء القصيدة، وفضاء الوقع.فكأنه يصرخ مستفهما ومتعجبا لا جاهلا يبحث عن إجابة لسؤاله، فآثر هذا الصوت الانفجاري الذي يرفع صوت الصراخ ويعليه:" إذا نظرنا في السمات الصوتية للهمزة نجدها تتوافق مع معانيها، ولعل سمة الانفجار فيها

بانفراج الفكين عن بعضهما البعض تمنحها التوسع والامتداد، من هنا كانت لها الصدارة على الإطلاق، واستعملت في الاستفهام بقيد ولا شرط "[44].

وقد تعكس أدوات النفي ذلك الرفض التام الذي يدوي به صوت الشيخ في كل مواضع الديوان، والجدول الآتي يوضح إسناد الهمزة إلى غيرها من الأدوات، وذلك لتوضيح دلالة ذلك التكرار الذي تعكسه تلك الإحصائيات:

| الحرف | الأداة المسندة إليه | عدد مرات الإسناد |
|---|---|---|
| أ | أ+لا = ألا | خمس مرات |
| أ | أ+لم = ألم | إحدى عشرة مرة |
| أ | أ+ليس = أليس | أربع مرات |
| أ | أ+أي = أي | ثلاث مرات |
| أ | أ+من = أمن | مرتان |
| أ | أ+ في = أفي | مرتان |
| أ | أ+ فعل مضارع | سبع مرات |
| أ | أ+ أسماء | مرتان |

ومن الجدول السابق، نلاحظ أن أكثر الحروف إسنادا للهمزة هو حرف النفي لم، ذلك الحرف الذي ينفي الحاضر نفيا مطلقا، ويحيله إلى الماضي المطلق، كي لا يقع حدوثه في الوقت الراهن، أو رجاء تحقيقه في المستقبل:

[44] ) السعدية صغير -مقاربة دلالية في معاني الاستفهام البلاغية –كلية الآداب الجديدة – 2015م – ص 285 .

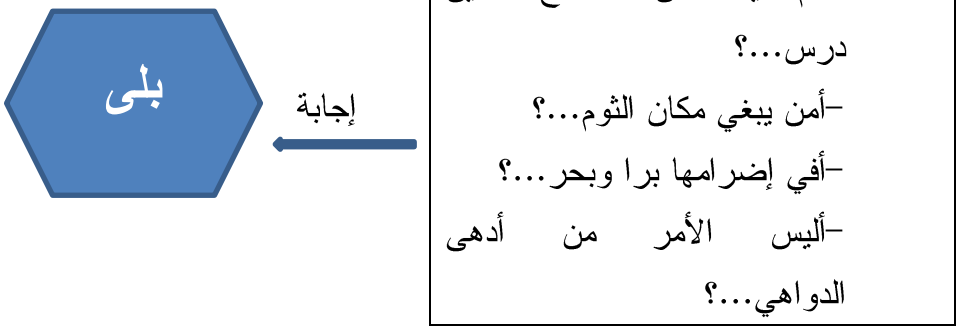


إن تلك الاستفهامات بالهمزة لا تحتمل إلا ردا واحدا يفهم ضمنيا من النص، التي صرح الله عز وجل في قرآنه الكريم في أكثر من موضع مجيبا لهؤلاء المنكرين إجابة صريحة: بلى

ففي هذا تأثر وتناص من القرآن الكريم:

"لَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ"[45]

ولم تكن الهمزة وحدها التي انفجرت بها قصائد الشيخ أبي اليقظان في ديوانه المأساوي ، بل هناك عدد من الاستفهامات يطرح كل منهم دلالة خاصة ، كحرف الاستفهام ( هل ) الذي تكرر أكثر من عشر مرات:

*–أيملك ذرة من بيت لحم وهل يحظى قرارا أو معينا؟*

*–ومن يجني على رسل كرام فهل يبقي النساء أو البنينا؟*

*–نعم ، فبلادكم لهم بلادا فهل أنتم عباد صالحونا؟*

*–فهل هم مسحوا أم قوم عيسى هم مسخوا يهوا خاسئينا؟*

[45] ) سورة الأنعام – آية 30.

وكثيرا ما ألحق الاستفهام بـــ( هل) الفاء، وذلك للتنبيه ولفت انتباه المتلقي ومشاركته في الحالة التعجبية التي ترفضها معطيات القصيدة، كما أنه تقرير واعتراف بما يكنه مضمون القصيدة.

وهناك إسناد لحروف الاستفهام إلى الاسم يفتتح به صدر القصيدة ليفتح به صدر المتلقي لما سيقول ويفتح عقله للحقائق التي يحاول الأعداء إخفاءها:

*– أباسم الحق والانصاف أنتم على طمس الحقيقة مجمعونا*

*أباسم العدل منصفكم رأى قم لأقعد أيها المتفلسفونا*

*–أأبناء الجزائر أين أنتم من العرب الكماة العاملين*

أما إسناد الهمزة للأفعال المضارعة، فهو إقلاب من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي، في حالة رفض وهروب من معطياته الأليمة إلى الماضي العظيم وبطولاته المجيدة:

–أيملك ذرة من بيت لحم ...؟

–أيعبد من يروم العجل عزا...؟

–أيجرؤ ضد رب القوم خلق...؟

–أيرهقها هزال الضعف...؟

**نفي + فعل مضارع = فعل ماض**

ومما سبق نلحظ أن، معظم صيغ الاستفهام التي وردت في ديوان( مأساة فلسطين )، إنما هي استفهام تقريري ( المراد به الحكم بثبوته، فهو خبر بأن المذكور عقيب الأداة واقع، أو طلب إقرار المخاطب به من كون السائل يعلم، فهو استفهام يقرر المخاطب أي يطلب منه أن يكون مقرا به ."[46]

***دلالات الاستفهام :**

[46] ) عبد الكريم محمود- أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم- (غرضه –إعرابه )-مطبعة الشام- توزيع مكتبة الغزالي – الطبعة الأولى – ص8:16 – 1421ه -2000م.

إن الشاعر حين يلجأ إلى الاستفهام، لم يكن هذا الاستفهام بغية الاستفسار والاستعلام عن المجهول، وإنما لتجسيد الحالة الشعورية بآلية ديناميكية ، تحرك المعاني، كما هي تموج في نفس الشاعر فتأججه، وقد تموجت دلالات الاستفهام فعلت عن مقصدها الظاهرى إلى مقاصد باطنية أخرى أشد عمقا وتأثيرا؛ كان أبرزها:

دلالة الأسى والتحسر، التي توضح تلك المرارة التي يتذوقها الشاعر، بل الوطن العربي جرَّاء هذا البطش والاستسلام له كما في قول الشاعر:

ألا هل من ملب لي رحيم –ألم تك راية الفاروق –أفي إضرامها ...تسالمونا–أليس الأمر من أدهى الدواهي–فأين السلم يا متهالكينا....إلخ).

وقد يأتي بدلالة الاستنكار والنفي، وما أكثرها في ذلك الديوان كما أشرنا آنفا كما في قوله:

فهل يرضى له نصر– وكيف عتوا عليه وجاهروه بقتل الأنبياء–أليس مكان برنادوت– هل التحكيم يجدي الآن نفعا– أيعجزه حمى المتهودينا– أفي دار السلام يثير حربا– ومن يجعل غوانيه فخاخا للشباب...إلخ).

أما دلالة الشوق والحنين فتفوح ذكاها في أرجاء القصائد جلها، ذلك الشوق الذي لا يشبعه ويهدأ من حرارته إلا استجداء الماضي:

(ألا يا ليت شعري كيف تغدو ربوع القدس– ألم ير عند خيبر خير هدي–وهل حسبوا مع الأخرى حسابا–وكم كشفوا حول ( نقب) نقابا– وماذا حول يوشع من عجاب– ألست مقر جل المرسلين...إلخ).

أما دلالة التعجب فتوحي بالغرائبية التي تدهش المتلقي وتجعله يشارك المبدع حالته الانبهارية، وتطرح حوله استفهامات لدلالات مختلفة" إنه يستهدف الشيء الشاذ أو غير المعتاد لبيان أنه خرج عن المألوف، وأنه غير سائغ لدرجة توهم بأن سببه غير مألوف، فما من سبب يدعو إليه، وكأنه سبب مجهول."[47]

[47] ) هاجر سليمان طه- طاقة التأثير في أسلوب الاستفهام –ماهيتها وأسبابها (دراسة تطبيقية في الخطاب القرآني) حولية الأزهر – لغة عربية – بنين جرجا –ج7 – العد7015- 2019 م.

وقد فرض ذلك التبدل السياسي، الذي تبعه تبدلا في كل مناحي الحياة ( اقتصاديا – ثقافيا – اجتماعيا...) لدولة فلسطين المحتلة، وما آلت عليه الآن، فقد فرضت على كل العرب التعجب والاستغراب لهذا الوضع المرفوض والمكسوت عنه.
فمالي أراكم في كفاحي – ألم يبلغكم عني دوي – ألم يبلغكم عني صرخ الرصاص– وهل هذا يعد لهم غريبا– أباسم الانصاف– أفي إضرامها ...تسالمونا...إلخ).

إن تلك الأساليب الاستفهامية التي حركت فضاء القصيدة بآلية سردية، أخرجت القصيدة من معانيها المتوقعة إلى معان أخرى غير متوقعة وغير محسوسة، اخترقت ببيانها أعماق المتلقي لتشاركه تلك المأساة التي كشف المبدع/ الشاعر عن كل تفاصيلها ودقائقها، في محاولة لإعادة الوضع لحاله الأول.

## المبحث الثاني

## الالتفات وبيانه السردي في القصيدة الفلسطينية

إن القصيدة الفلسطينية تدعو إلى تضافر شتى ألوان البيان والإبداع، وهي فضاء متسع لدرامية تحوي كل ألوان السرد الشعري بمكنوناته المتعددة الخلاقة.إن الشاعر المبدع وهو يعمد إلى استخدام هذا اللون البياني( الالتفات)، إنما يرتقي بمستوى الأداء الفني ليحقق ذلك الإمتاع والإشباع العاطفي واللفظي، وهي عادة قديمة كان يلجأ إليها المبدع العربي القديم لرفع السأم عن المتلقي، وخلق روح تشاركية تحاورية تجعله جزءا من هذا العمل الإبداعي، ذا جناحين يحلق بهما في فضاء القصيدة، ويعرف الالتفات بأنه:" الانتقال من أسلوب لأسلوب آخر أو أنه الانصراف عنه إلى آخر"[48].

إنه تضليل متعمد للمتلقي عن المعنى السطحي والغوص إلى المعنى الباطني، الذي يكنه الشاعر، لذا أعده علماء اللغة من صميم الانزياح لشموليته على

[48] )رشيد جليل فالح- فن الالتفات في مباحث البلاغيين – مجلة آداب المستنصرية – بغداد ع 94- 1984م –ص66 .

بنية التباسية تضليلية يشترك في تكريسها كل من المعمار والأسلوب والدلالة، ويتم كله بلغة شعرية"[49].

وعرَّفه الزركشي بأنه نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، تطرية واستدرارا للسامع، وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه"[50].

وقد قسم الزركشي الالتفات في كتابه (البرهان) إلى ستة أقسام، وذكر أنه:" ومما يقرب من الالتفات أيضا الانتقال من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب آخر، وقسمه إلى ستة أقسام، منها: الانتقال من خطاب الواحد غلى خطاب الاثنين، من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع، من الإثنين إلى الواحد، من الاثنين إلى الجمع، من الجمع إلى الواحد، من الجمع إلى التثنية "[51].

وقال بن المعتز في البديع: وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك من الالتفات والانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر."[52]

وقد تنوع الالتفات في ديوان (مأساة فلسطين)، ليعكس ذلك الجدل النفسي للشاعر، والذي عمد بفنية متميزة إلى إشراك المتلقي في تلك الجدلية، فاستخدم أنواعا مختلفة من الالتفات يمكننا إجمالها في :

1- التفات زمني: تتبدل فيه الأزمنة وتتأرجح بين الماضي والحاضر، ثم تعود مرة أخرى إلى الماضي وتارة تقفز إلى المستقبل فتراه رأى العين حاضرا.

2- التفات عددي: تتنوع فيه مكونات القصيدة بين الإفراد والتثنية والجمع، وقد يكون ذلك بالتصريح أو التلميح.

---

[49] ) خيرة حمرة العين -شعرية الانزياح – دراسة في جماليات العدول – 2011م-دروب ثقافية للنشر والتوزيع - ص224

[50] ) بدر الزركشي – البرهان في علوم القرآن- 398-بيروت- دار المعرفة 1410ه- 1990م –ط1-ج3-ص380

[51] ) المصدر نفسه –ص380.

[52] ) عبد الله بن محمد ابن المعتز – البديع – بيروت دار المسيرة- الطبعة الثالثة -1402ه -1982م– ص15.

3- التفات نوعي (ضمائري): من صيغة لأخرى، كالالتفات من صيغة المتكلم إلى المخاطب أو الغائب، وغيرها من وسائل السرد التي تنتشر في الديوان فتخلق فضاء متحركا لا يعرف السكون.

**أولا – التفات زمني:**

لقد تسبب احتلال فلسطين والبطش بها وبأهلها في انزعاج وخللة نفسية للوطن العربي، مما انعكس بدوره على المبدع العربين ولا سيما الشيخ إبراهيم أبو اليقظان، الذي عاش تلك المأساة مع الاحتلال الفرنسي للجزائر، فكأنه يرى وحشية المستعمر للفلسطنين أمام عينه كما كان يراها في بلاده، مما جعله يصور الفاجعة وكأنه كان يصارع في ميدانها.

لذا جاءت قصائد ديوان ( مأساة فلسطين) مزعزعة بين الماضي الحاضر نصب أعينهم، وحاضر مرير يحولون الهروب منه والفرار رفضا واستنكارا له، وفي ذلك يقول ابن الأثير في هذا النوع:" أعلم أن الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال الذي يقع فيه، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الماضي."[53] .

فقد طغت الأزمنة الماضية على الديوان بكل أبطاله وأحداثه ومفرادته الدقيقة التي لا يلحظها إلا عاشق لهذا الماضي العريق في جو روحاني تراثي، يعود بنا إلى عبق الزمان والتاريخ، فنرى شاعرنا العاشق يقول:

*-ألم يك في اليرموك يوم  أقام بهوله الدنيا قرونا*
*-قضى بشتاتهم في الأرض لكن  أردوا جمع شمل الطائشينا*
*قضى أبدا بخزيهم ولكن  أرادوا الملك والعز المكينا*
*-رأو (بلفور) أحسن منه حكما  فقاضوا الله عند الظالمينا*
*فأصدر حكمه بغيا وعدوا  بنقض قضاء رب العالمينا*
*فقام لأجله(أتزومان) يدعو  إلى تتنفيذ حكم القاسطينا*

[53] )ابن الأثير – المثل السائر – ج2 – ص416.

وغيرها من الأفعال الماضية (فجاء بلعنة التقسيم–فقاموا يشهرون–وهو قالوا لموسى وذهب–جاء بروح سلم–إذا ما فجروا بركان حرب– فمحمد ورث البرايا– فكانوا ضده متأمرينا–وإن هم في المعارك جالدوها–أوقدوا النيران بغيا–إن تاهوا حديثا ، فقد تاهوا قديما.....إلخ).

وإن توالي الأفعال الماضية يأخذ المتلقي إلى الإغراق في تفاصيل الماضي بكل ملامحه، ليخلق تلك الحركة الفجائية تباغت المتلقي، فتصدمه حين ينتقل إلى الحاضر المعيش.

وقد يوحي بالزمن الماضي باستخدام الفعل المضارع إذا جاء منفيا كما أشرنا إليه آنفا ( ألم تك – ألم تر –ألم .....إلخ).

أما الأفعال المضارعة فقد تم استحضارها للتجدد والاستمرار، سواء أكان هذا الاستمرار لحدث سيء يتكرر دوما من العدو الإسرائيلي؛ كالمساومة في قوله (تساومها)، والشرك بالله ( أيعبد من يروم العز عجلا)، والخسف والخزي (*وينسى الخسف والخزى*)، والغدر والخيانة( يحالف خصمه)، التظاهر والخداع ( تظاهر هؤلاء بكل شيء) في قوله:

*–أيرهقها هزال الضعف حتى تساومها جفاة مفلسونا*

*–وإن تعجب فأعجب من عدو يحالف خصمه في المسلمينا*

*–نراهم أسخياء على حساب العروبة نعرة للآثمينا*

*أيعبد من يروم العز عجلا وينسى الخسف والخزى المهينا*

*–أيملك ذرة من بيت لحم وهل يحظى قرارا أو معينا؟*

*–تظاهر هؤلاء بكل شيء لنصرة عصبة طارت جنونا*

أو الاستمرار الإيجابي من قبل الفلسطينين كابتغاء المجد(يذوق المجد والعز)، وكذا قوتهم وبأسهم في الحروب برا وبحرا وجوا( ففي بر وبحر وجو تلقف..) :

*–أمن يبغي مكان المن ثوما يذوق المجد والعز المصونا*

*–وإن هم في المعارك جالدوها أرتهم هولها خزيا مهينا*

*ففي بر وبحر وجو تلقف سرعة ما يأفكونا*

وكثير هي النماذج التي استخدم فيها الفعل المضارع الدال على الاستمرار والدوام، فهي أفعال تتكرر في كل يوم وساعة، بل إنها تأخذ أشكالا جديدة بآليات جديدة في وقوعها واستخدامها .

وكثيرا ما استخدمت كحكمة يقينية، يستمر صداها مدى الحياة؛ كعاقبة الجناة على الأنبياء والرسل ويزعمون أنهم سيجدون نصرا من الله –عز وجل– بل هي خاتمة محسومة منذ البدء دللت عليها قصص الأولين والسابقين التي أشار إليها الشاعر / الشيخ في ديوانه بمواضع عدة:

*–ومن يجني على رسل كرام فهل يبقي النساء أو البنينا؟*

*– وكيف يرون ضد الله نصرا مظاهرة عليه مناصبينا*

*–بلى والله خاتمة ستبقى ولن تمحى دوام الآبدينا*

*–ويجعل للجبابر يوم حشر إلى أرض المعاد يسيرونا*

هي حِكَم تتصدر المشهد بين الحين والآخر في القصائد، لتعود بذاكرة المتلقي إلى الوراء فتستحضر الماضي ( المعلوم ) بصيغة الحاضر، هي قوة اليقين والإيمان التي تجعل من تلك الحقائق حكما ثابتة في كل زمان ومكان.

**ثانيا– التفات عددي:**

استخدم الشاعر التلاعب بالأعداد سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، سواء لفظا أو جنسا، فقد ينتقل من المفرد إلى الجمع أو من الجمع إلى المفرد أو من المفرد للمثنى أو المثنى للمفرد.

ومثال ذلك حين يقول الشاعر مصرحا بالأعداد في جدلية ثانية متضادة، توضح المقصود بقوة تأثير تلك المقابلة العددية:

*ومنهم نحو مليون شريد لبلدان العروبة لاجيئنيا*

*بسيف عصابة الإجرام أضحوا لخيرات البلادمهاجرينا*

*حفاة بل عراة بل جياعا مئاتهم هناك مشتتونا*

فقد صرح بالعددين تصريحا مباشرا ، للدلالة على كثرة الفلسطينين المشردين في البلدان، من جراء فعل شرذمة قليلين مشتتين في البلدان.

ونلاحظ استخدام الشاعر للعدد مليون الذ يدل على الكثرة بشكل تقابلي مع المائة التي تدل على القلة وذلك لرصد حقيقة واقعة ومسلمة، تتمثل في أعداد أهل المكان ( الفلسطينين ) وأعداد العدو (المستوطنين).

وقد يلتفت إلى تلك المقابلة العددية باستخدام ألفاظ دالة على العدد كـــ (الرهط والبضع والنيف وغيرها:

*فنادى صفوة العرب الكرام ورهطا من كبار الفاسقينا*

فقد استخدم الجمع في كلمة (العرب) وقابلها بلفظة (رهط)، ومن المعروف أن الرهط من ثلاثة إلى عشرة ليصفهم بأنهم فاسقون، أما أغلبية العرب فهم صفوة كرام.

وقد ينتقل من صيغة من الجمع إلى مفرد:

*أبا شلومو وخريون وموشى على الله المقدس ينصرنا*

وغالبا تستخدم صيغة الإفراد مع الله الواحد –عز وجلَّ– في مقابل الجمع.وهو تحد من الله لهؤلاء الأعداء مهما كثروا عدة وعتادا:

*على هذا بنو صهيون ثاروا على الله المهيمن أجمعونا*

أما الالتفات من صيغة المفرد للجمع، فلم ترد كثيرا، بيد أنها ذكرت في مواضع محدودة، لتعكس أن المفرد يأتي هنا بمثابة الجمع ويحل محله، فسيدنا موسى يواجه قومه فينتصر عليهم، وصلاح الدين يأتي بألف رجل من الطامعين، وخالد بن الوليد يهد الحصونا رغم كثرتها *ومناعتها:*

*–وهم قالوا لموسى اذهب وقاتل وربك نحن ثمة قاعدونا*

*–ألم يك من صلاح الدين درس بحطين يفيد الطامعينا*

*–ألم يلمع (لسيف الله ) سيف بساحك عندها هد الحصونا*

**ثالثا– التفات نوعي ( ضمائري):**

يعتمد هذا النوع من الالتفات على الانتقال من ضمير إلى ضمير آخر، لغاية فنية جمالية يكنها المبدع، أو يصرح بها في فضاء عمله الإبداعي.

إن التفات الضمائر له أهمية كبيرة تتمثل في كونها " تنشيط السامع و استجلاب صفاته

واتساع مجاري الكلام، و تسهيل الوزن والقافية"[54].

وقد لخص أحد الباحثين أهميته في كلمات موجزة معبرة: " المبالغة، الخصوص، الاهتمام، والإهانة، والتحقير."[55]

وسنحاول هنا عرض نماذج لتلك الأغراض المختلفة للالتفات، التي تجسدت في ديوان ( مأساة فلسطين) تجسيدا يعكس حجم تلك المأساة ويوضح أوجهها:

فقد انتقل الشيخ / الشاعر من صيغة المتكلم( التكلم مع النفس) إلى الغائب الذي يحاول استحضاره:

*ألا يا ليت شعري كيف تغدو ربوع القدس بين العابثينا*

*أيرهقها هزال الضعف حتى تساومها جفاة مفلسونا*

وفي المقابل قد ينتقل من الغائب إلى المتكلم في ثنائية حوارية متتالية، تعتمد على الفعل ورد الفعل/ الظن والحقيقة/ القول والرد:

إن قالوا .....

نعم.....

التفات يسري الحوار بالقول والرد وكأننا في مشهد مسرحي يشخصه فردان يتحاوران بسلاسة وطلاقة ، يأخذ الحوار مجراه هادئا توحيه لفظة ( نعم ) التي تدل على الاستكانة والسلام.

أما الانتقال من الخطاب إلى الغائب فقد ورد في مواضع محدودة:

*بربك جُد علىَّ بشرح سر أراه معقدا أن يستبينا*

---

[54] )الزركشي – البرهان في علوم القرآن- ج3-ص326

[55] )طالب محمد إسماعيل الزوبعي –من أساليب التعبير القرآني-ط1- بيروت-د0ت –دار النشر العربية –ص142 .

ولو لاحظنا نجد ذلك التحول المقصود في المعنى المتوقع، ذلك أن الالتفات يقوم على الانحراف عن الأنماط المعتادة، وهي خاصية قديمة ذات طاقات إيحائي يبنى على الانزياح عن النسق اللغوي المألوف، وذلك من خلال انتقال الكلام من صيغة إلى أخرى، كالانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو العكس".[56]

**خاتمة:**

هدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على العناصر السردية التي استعان بها الشاعر المبدع الشيخ إبراهيم اليقظان، في ديوانه (مأساة فلسطين) في محاولة للغوص في أعماق الشاعر المتأثر بقضيته؛ بل قضايا الاضطهاد في العالم العربي أجمع، ففاحت في جنبات ديوانه عطور الدماء الذكية لشهداء الثورة الفلسطينية.

وقد استخدم الباحث منهجا وصفيا، يصف فيه آلية توظيف تلك العناصر السردية من ( شخصيات ومونولوجات وحوارات وصراعات والتفاتات وغيرها...) من العناصر أحالت فضاء القصيدة الساكن إلى ساحة قتال متحرك يصول ويجول بالمتلقي، لتنقل القصيدة من الذاتية إلى الموضوعية مع الحفاظ على الهوية الشعرية للعمل الأدبي.

**المصادر والمراجع**

**القرآن الكريم.**

- إبراهيم أبي اليقظان: ديوان مأساة فلسطين - دار للنشر2020م.

2-إبراهيم طلاي: ميزاب مسيرة كفاح - مطبعة البعث قسطنية - 1970م.

3- إبراهيم بن الناصر: صحف أبي اليقظان - القرارة - 1929م .

4-أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة-البيان والمعاني والبديع - مطبعة السعادة - ط 3- مصر.

5-أحمد أحمد محمد فرصوص: أبواليقظان كما عرفته - دار البحث - قسطنطينية 1991م.

[56] ) رؤى جمعة يونس- خصائص الأسلوب في شعر طرفة بن العبد -رسالة ماجستير - 1983م .

6-أسامة فرحات: المونولوج بين الدراما والشعر- الهيئة المصرية العامة للكتاب.2014م.
7-أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة 1965م .
8-بدر الزركشي: البرهان في علوم القرآن- 398-بيروت- دار المعرفة 1410ه-1990م -ط1-ج.3
9- بوز محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر -عالم المعرفة- ج1 – 3 – 2 ط1- الجزائر – 2013م.
10-خليل حاوي: مجلة المعرفة السورية – العدد الخامس – تموز – 1962م – ص164
11-خيرة حمرة العين: شعرية الانزياح – دراسة في جماليات العدول – 2011م- دروب ثقافية للنشر والتوزيع .
12-رشيد جليل فالح: فن الالتفات في مباحث البلاغيين – مجلة آداب المستنصرية – بغداد ع 94- 1984م.
13-أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي: شرح صحيح مسلم – دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى 1407- 1987م .
14-سعاد إبراهيم : المشهدية في الشعر العربي المعاصر – ديوان " شجر الحزن " لصديق عطية أنموذجا – مجلة حوليات آداب عين شمس -2020 م- عدد 48 .
15-السعدية صغير: مقاربة دلالية في معاني الاستفهام البلاغية -كلية الآداب الجديدة – 2015 م.
16-السعيد يقطين: الكلام والخبر- مقدمة للسرد العربي- المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء 1997 م.
17-صلاح عبد الصبور: ليلى والمجنون – القاهرة – الأعمال الكاملة – دار الشروق .

18-طالب محمد إسماعيل الزوبعي: من أساليب التعبير القرآني-ط1- بيروت- د0ت -دار النشر العربية.
19-عبد الرازق قوم: أبو اليقظان أحد رواد الإصلاح فى الجزائر، مجلة الأصالة، ع5 ، مطبعة البحث قسطنطينة – 1971م .
20-عبد الكريم محمود: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم- (غرضه -إعرابه )- مطبعة الشام- توزيع مكتبة الغزالي – الطبعة الأولى16 – 1421ه -2000م.
21-عبد الله بن محمد ابن المعتز: البديع – بيروت دار المسيرة -1402ه – 1982م- الطبعة الثالثة .
22-عبد الله إبراهيم: البناء الفني لرواية الحرب في العراق – دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة – دار الشؤون الثقافية العامة- العراق 1980 .
23-عبد الملك مرتاض: السبع المعلقات – مقاربة سيميائية أنثربولوجيا لنصوصها، اتحاد الكتاب العرب دمشق .
24-عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر -قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية-دار الفكر العربي – 1966 م.
25-علي الحداد: أثر التراث في الشعر العراقي الحديث – بغداد – دار الشئون الثقافية – آفاق – 1986 م .
26-علي زايد عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر – دار الفكر العربي- القاهرة مصر – 1997م.
27-علي نجيب إبراهيم: جماليات الرواية ( دراسة في الرواية الواقعية السورية المعاصرة ) – 1994 0 دار الينابيع للطباعة والنشر – دمشق.
28-قادة عفاف: دلالة المدنية في الخطاب الشعري المعاصر ، دراسة في إشكالية التلقي الجماعي للمكان — منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001م.
29-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي – دار البصائر للنشر والتوزيع بالجزائر – 2007م .

30-محمد الصالح الصديق: أعلام من المغرب العربي- ج3 الجزائر – 2000م
31-محمد بن موسى وآخرون: معجم أعلام الجزائر- ج2 – دار الغرب الإسلامي – بيروت ط1- 2000م .
32-محمد ناصر: المصلح الراحل الشيخ أبواليقظان-جريدة الشعب - العدد 2212 – 6 ربيع الأول 1393هـ - 1973م.
33-نادر أحمد عبد الخالق: الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني – دراسة موضوعية وفنية –دار العلم والإيمان – الطبعة الأولى – 2009م .
34-هاجر سليمان طه: طاقة التأثير في أسلوب الاستفهام –ماهيتها وأسبابها (دراسة تطبيقية في الخطاب القرآني) حولية الأزهر – لغة عربية – بنين جرجا –ج7 – العد7015- 2019م.
35-وائل عبد الله مفلح: توظيف التراث في شعر صفي الدين الحلي – رسالة ماجستير - جامعة اليرموك –كلية الآداب – الأردن -2008م.

المراجع الأجنبية:

1- s0diot,onpoetry andpoets,lond,faber1979.